Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities
(Bi-Annual) Trilingual: Urdu, Arabic and English
ISSN: 2707-1200 (Print) 2707-1219 (Electronic)
Home Page: http://www.arjish.com
Approved by HEC in "Y" Category
Indexed with: IRI (AIOU), Australian Islamic Library, ARI, ISI, SIS, Euro pub.
Published by the Al-Khadim Foundation which is a registered organization under the Societies Registration ACT.XXI of 1860 of Pakistan
Website: www.arjish.com
Copyright Al Khadim Foundation All Rights Reserved © 2020
This work is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

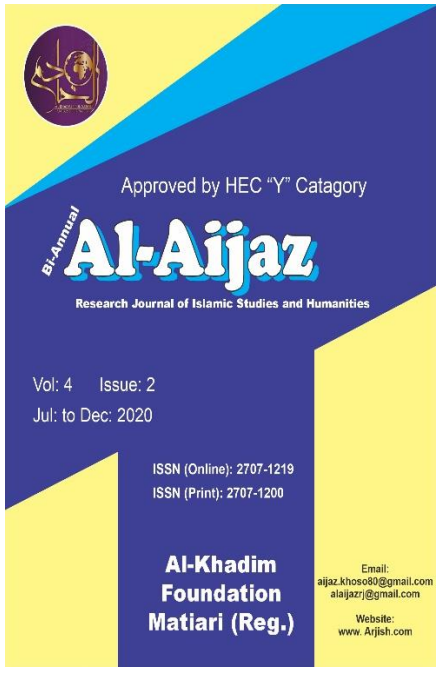

TOPIC:

The term "Elite/ Chieftain" between the Qur'an concept and the purposes of advocacy

AUTHORS:

1. Abdur Rehman Al-Bazi, Lecturer, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad
Email: albaz.iiu@gmail.com
2. Dr. Abdelhamid Kharroub, Assistant Professor/Incharge, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad
Email: aadddbb@gmail.com

How to cite:
Al-Bazi, A. R., & Kharroub, A. (2020). A-12 The term "Elite/ Chieftain" between the Qur'an concept and the purposes of advocacy. *Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities*, *4*(2), 158-172.
https://doi.org/10.53575/A12.v4.02(20).158-172

URL: http://www.arjish.com/index.php/arjish/article/view/254

Vol: 4, No. 1 | January to June 2020 | Page: 158-172

Published online: 2020-12-20

QR Code

مصطلح الملأ بين المفهوم القرآني والهد ف الدعوي

The term "Elite/ Chieftain" between the Qur'an concept and the purposes of advocacy

Abdur Rehman Al-Bazi*
Dr. Abdelhamid Kharroub**

Abstract
The elite , in the past and present, faced the same call, and exceeded the limits on the prophets and preachers, and attacked their followers and callers, and on the other hand we see the keenness of the prophets and preachers to guide the elite and their entourage, because they have a great impact on people and their words and calling were considered more, with the soft wording and by clarifying the evidence and the evil in Clarification and dismissal of suspicions and defending the challenges and obstacles facing the call to God Almighty and Islamic culture. It is not possible to reach the goal and the purposes of the call to an accurate understanding of the term elite, so the research was divided into the introduction and three sections: the first topic is the concept of pluralism, and the second topic: close words and words related to (plea) in the Noble Qur'an the third topic, the advocacy objectives of "al-Malaa" In the Holy Qur'an and in the conclusion the most important recommendations and results are mentioned.
Keywords: Elite/ Chieftain, Islamic culture, al-Malaa, concept of pluralism, Qur'an concept

ملخص البحث

إن الملأ قديما وحديثا واجهوا الدعوة ذاتها، وتجاوزوا من الحدود على الأنبياء والدعاة، وهاجموا أتباعهم وحملة الدعوة، وفي المقابل نرى حرص الأنبياء والدعاة على هداية الملأ وحاشيتهم، لما لهم من كبير أثر على الناس وكانت دعوتهم بالتي هي أحسن، باللفظ اللين وبإيضاح الأدلة والإيغال في التوضيح ورد الشبهات والدفاع عن التحديات والعراقيل التي تواجه الدعوة إلى الله تعالى والثقافة الإسلامية.

ولايمكن الوصول إلى الهدف ومقاصد الدعوة إلى بفهم دقيق لمصطلح الملأ، لذا قسمت البحث إلى المقدمة وثلاثة مباحث: أمالمبحث الأول مفهوم الملأ ، والمبحث الثاني: الأ لفاظ المقاربة والكلمات التى لها صلة بـ (الملأ) في القرآن الكريم المبحث الثالث ، المقاصد الدعوية من "الملأ" في القرآن الكريم وفي الخاتمة ذكرت أهم التوصيات والنتائج.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

لقد حوى القرآن الكريم الكلام عن الأنبياء والأمم السابقة، واهتم بالملأ ويعني به في القرآن الكريم: جماعة من المبرزين في

* Lecturer, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad
Email: albaz.iiu@gmail.com
** Assistant Professor/Incharge, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad
Email: aadddbb@gmail.com

الأمة ممن استأثروا بالسيادة العامة على من تحتهم من الناس واختصوا بصفات ومظاهر معينة، وبرز من الملأ في القرآن الكريم أقسام عديدة الذين قادوا الهجمات الشرسة على الدعاة من الأنبياء والعلماء عبر التاريخ، وقابلوا ما عرضه الأنبياء والدعاة عليهم، ولهم سمات ومظاهر خاصة بهم. وهم لمن بعدهم عبرة وعظة، ويفهم مقاصد الذكر والتكرار في أماكن مختلفة في القرآن الكريم.

اليوم حاجة الناس إلى فهم الملأ القرآني قديما وحديثا والمقاصدعوية في ضوء الإسلام حاجة المريض إلى الدواء والجائع الغذاء والعريان إلى الكساء والخائف إلى الأمان، وليس ذلك موجودا إلا عند أمة محمد صلوات الله عليه وتسليماته فدعوة الناس من الملأ العام والخاص وأخص الخاص إلى الله أصبحت من ضروريات الأمة وحاجاتها كما أن القرآن الكريم سجل هذا كله با اختصار الطريق الدعوة، وكسب أكبر عدد لصفوفها، وتقليل المحن والصعوبات أمام الدعاة والأتباع، ثم كان لهم أثر ملموس في توجيه الأحداث وسير الدعوة، وعصرنا مليء بهذه القوة الغاشمة فأردت كشف اللثام عن هذه الظاهرة مرتبطا بماورد في القرآن، وأهلها في المجتمع عن سماتهم وأقوالهم وأفعالهم وسأقتصر به بمشيئة الله تعالى:

المبحث الأول: مفهوم الملأ: موضوع (الملأ) بحر لا ساحل له؛ وقد أخذ كثير من العلماء جوانب عديدة، نظرا إلى ظرف الموضوع نبدأ بالمفهوم في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، وتاريخه، والفرق بين الرسم (الملأ) بالألف و(الملؤ) بالواو.

الملأ في اللغة بمعان متعددة أذكر منها:

المبحث الأول: مفهوم الملأ

(1)أشراف القوم ورؤسائهم وذوا الجاه منهم[1].

قال صاحب تهذيب اللغة: "الملأ مهموز مقصور: أشراف الناس ووجوههم"[2]، والملأ: الرؤساء". ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه علي رؤساء الكفر كأبي جهل وأشباهه: "اللهم عليك الملا من قريش"[3].

وقوله عليه الصلاة السلام:"إن الملأ قد بغوا علينا"[4]، قال الإمام النووي "رحمه الله" "هم أشراف القوم"[5].

وفي الحديث القدسي "فيم يختصم الملأ الأعلى؟"[6] والمراد من الملأ الأعلى: الملائكة المقربون عليهم السلام [7].

وروى ابن اسحاق وهو يحكي قصة بدر قال: "ثم ارتحل رسول الله –صلي الله عليه وسلم–، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة — كما حدثني به عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان — ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إن الأعجائز صلعا[8] كالبدن المعلقة فنحرناها، فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال: أى ابن أخي أولئك الملأ"[9].

كما جاء لفظ (الملأ) بمعني الأشراف والسادة وذوي الجاه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال:"مرالملأ من القريش على رسول الله –صلي الله عليه وسلم– وعنده سيدنا خباب بن الأرت وصهيب الرومى وبلال الحبشى وعمار رضى الله عنهم، فقالوا له: يا محمد! أرضيت بهولاء؟!"[10].

وفي حديث سيدنا أنس بن مالك –رضي الله عنه– وهو يحكي قدوم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة "ثم أرسل إلى ملأ بني النجار"[11].

وفي حديث سيدنا ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمدا، لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالت: هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك، قاموا إليك فقتلوك..."[12].

وإن مصطلح (الملأ) بوجوه متعددة:

منها: أنه أخذ الملأ، من قولهم: ملأ الرجل يملأ ملأة فهو ملئ، فوصفوا بذلك لأنهم ملئوا شرفا، أو عقولا راجحة، أو بما يطلب ويبتغى منهم، أو وصفوا بذلك لأنهم يملأون العيون مهابة، والمجالس بهاءا والأكف نوالا كما أن لهم شأن في المجتمع والسياسة.

ومنها: أنه مأخوذ من قولهم: فلان ملئ بكد، أي: مطيق له قادر عليه، فوصفوا بذلك لأنهم قادرون على ما يراد منهم من كفاية الأمور وترتيب المهمات [13].

والملأ اسم جمع –غير أنه يختلف– كما في لسان العرب: عن (رهط) و (قوم) ونحوها من أسماء الجمع، على اعتبار أن لفظ (مالئ) وإن لم يجمع جمع تكسير على(ملأ) إلا أنه من لفظه على كل حال.

قال في لسان العرب: "ليس الملأ من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع، لأن رهطا لا واحد له من لفظه، والملأ وإن كان لم يكسر مالئ عليه فإن مالئا من لفظه"[14].

حكى أحمد بن يحى: "رجل مالئ: جليل يملأ العين بجهرته"[15].

وشاب مالئ العين: إذا كان فخما حسنا، ويقال: "فلان أملأ لعيني من فلان، أي: أتم في كل شيء منظرا وحسنا، وهو رجل مالئ للعين: إذا أعجبك حسنه وبهجته"[16].

ويجمع (الملأ) على (أملاء)[17].

(2) **الجماعة من الناس مطلقا**:قال الجوهري: "والملأ: الجماعة"[18].

ومنه قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حديثه عن نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ : "حتى انتهى إلى ملأه من بني إسرائيل"[19].

وقوله –عليه السلام–: "بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل..."[20].

وفي الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"[21].

قال ابن حجر: "قوله (وإن ذكرني في ملأ) بفتح الميم واللام، مهموزه أي: جماعة"[22].

(3) **الخلق**: قال في تهذيب اللغة: "والملأ أيضا الخلق، يقال: أحسن ملأك أيها الرجل، وأحسنوا املاءكم"[23].

ومنه حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أحسنوا الملأ كلكم سيروى"[24].

قال النووي: "الملأ بفتح الميم واللام وآخره همزة، وهو منصوب، مفعول أحسنوا، والملأ: الخلق والعشرة، يقال: ما أحسن ملأ فلان، أي: خلقه وعشيرته"[25].

(4) **التشاور والتتابع على الرأي، والاجتماع على الأمر**[26].

"يقال: ما كان هذا الأمر عن ملأ منا، أي تشاور واجتماع"[27]. ومنه قول أبي سفيان يوم أحد: "قد كانت في القوم مثلة، وإن كانت لعن غير ملأ منا [28] أي:تشاور من أشرافنا وجماعتنا"[29].

(**5**) **الطمع**[**30**]. ملأ: أى طمع

(**6**) **الظن**[**31**]. ملأ: أى ظن

عدد ذكر لفظ الملأ في القرآن الكريم: ورد مصطلح الملأ في القرآن الكريم ثلاثين مرة في االثنتى عشرة سورة في سورة: البقرة،والأعراف، ويونس وهود، ويوسف، والمؤمنون، والشعراء، والنمل، والقصص، والصافات، وص، والزخرف، وقد جاء هذا المصطلح بحسب الرسم العثمانى كالتالى: معرفا بأل التعريف: الملأ: 22مرة، مضافا: ملأه: مرة واحدة. ملئه 6مرات. ملئهم: مرة واحدة. أما البحث عن الملأ الأعلى في سورتى ص، والصافات فليس مكان البحث هنا، وقبل أن نتطرق إلى شئ من التفصيل نأتى إلى سرد لفظ (الملأ في القرآن الكريم) في ثلاثين موضعا...

اتضحت من سرد الآيات القرآنية أن كلمة الملأ في معظم خطاباتها تعنى الصفة الخاصة التى تدور مع رغبات الجبابرة والمترفين والذين يتلونون في مواقفهم كالحرباء في الرمضاء وهم لايرون إلا مصالحهم الشخصية والتهمة التفوقية والملذات الشهوانية والتلاعب في الحق وتزويره أمام الشعب.

المبحث الثاني: الكلمات التى لها صلة بـ (الملأ) في القرآن الكريم

لقد تضمن القرآن الكريم ألفاظا وكلمات لها معنى مقارب لكلمة (الملأ) بالمعنى الاصطلاحي. وكلها تدور حول الجاه والمنصب، والسيادة والرياسة، وذلك كمايلى:

1- **الأنداد والمتبوعون**: وقد ذكر القرآن الكريم الأمثلة كثيرة حول هذا كما في الآية الكريمة:

"ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله..." إلى قوله تبارك وتعالى وتقطعت بهم الأسباب[32].

ذهب ابن عباس رضى الله عنهما والسدى وأكثر المفسرين إلى أن الأنداد هنا هم الرؤساء والمتبوعون، يطيعهم الاتباع في معاصى الله تعالى[33] وإن حصرها ابن عاشور بالأصنام فقط، ونفي أن تشتمل هذه الكلمة في القرآن الكريم كله لمعنى الرياسة والسيادة34(والمفسرون يرون مدلول الأنداد محتملا لأن يرادبه الأصنام، وأن يراد به السادة والزعماء، ويمكن القول بأن السياق يرجح إرادة الزعماء؛ حيث أن الصورة كلها تمثل موقفا بين السادة والأتباع، بالإضافة إلى أنه في الآية السابقة نفسها ومن تكملة قوله تعالى: أن القوة لله جميعا، في مقام الرد على اتخاذ الأتباع زعماءهم أندادا من دون الله، والأتباع لا

يعتقدون في الأصنام القوة التى يعتمدون عليها في الحياة اعتمادا مباشرا [35].

قال الرازى: واختلفوا في المراد بهؤلاء المتبوعين على وجوه..أحدها أنهم السادة والرؤساء من مشركى الجن، عن قتادة والربيع وعطا... ويجب أيضا نحملهم على السادة من الناس، لأنهم الذين يصح وصفهم من عظمهم بأنهم يحبونهم كحب الله دون الشياطين. ويؤكد قوله تعالى: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا36،37.

ففي هاتين الكلمتين معنى الخضوع كما هو المعهودمن الرعايا الضعفاء مع الملوك والأمراء، والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق، ولاسيما المستبدين المستكبرين منهم، الذين استعبدوا الناس استعبادا، بل تعبدوهم فعبدوهم.

والأنداد عند جمهورالمفسرين أعم من الأصنام والأوثان، فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينيا38

وقد ظن الأتباع في أسيادهم الأنداد والمتبوعين أنهم نافعوهم، وأكد لهم أندادهم ومتبوعوهم هذا الظن حتى وصل إلى درجة القناعة؛ فكان التفصل والتبرؤ منهم يوم القيامة على خلاف ماوعدوهم به39.

يقول الله عن لسان حالهم: (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين.....من محيص)(40).

قال الرازى: اعلم أن تعالى لما بين حال من يتخذ من دون الله أندادا بقوله:

ولويرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب...على طريق التهديد زاد في هذا الوعيد بقوله تعالى: "إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا". فبين أن الذين أفنوا عمرهم على عبادتهم واعتقدوا أنهم أوكد أسباب تجاتهم فإنهم يتبرأون منهم عند احتياجهم إليهم..معنى الآية أن المتبوعين يتبرأون من الأتباع ذلك اليوم.

فبين تعالى ما لأجله يتبرأون منهم وهو عجزهم عن تخليصهم من العذاب الذى رأوه، ولأن قوله: وتقطعت بهم الأسباب، يدخل في معناه أنهم لم يجدوا إلى تخليص أنفسهم وأتباعهم سببا، والآيس من كل وجه يرجو به الخلاص مما نزل به وبأوليائه من البلاء يوصف بأنه تقطعت به الأسباب (41).

2- الأكابر والكبراء:

ونجد هذا المرادف في قوله تعالى: "وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها..."[42] وفي قوله تبارك وتعالى: وقالوا ربنا إنا أطعنا سا دتنا وكبراءنا...السبيلا[43]

وجعلنا في هذه الآية صيرنا. فهى تتعدى إلى مفعولين؛ فالمفعول الأول، مجرميها، والثانى، أكابر. وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر، وقدم للأهم[44]

قال المراغى: ومجمل القول أن سنة الله في الاجتماع البشرى قد قضت أن يكون في كل عاصمة لشعب أو أمة بعث فيها رسول أو لم يبعث زعماء مجرمون يمكرون بالرسل وسائر المصلحين من بعدهم، وهكذا كان الحال في أكثر أكابرالأمم والشعوب، ولا سيما في العصور التى تكثر فيها المطامع ويعظم حب الرياسة والكبرياء؛ فتراهم يمكرون بالأفراد والجماعات؛ فيحفظوا رياستهم ويعززوا كبرياءهم، كما يمكرون بغيرهم من الساسة والرؤساء إرضاء لمطامع أمتهم وتعزيز نفوذ حكومتهم بين

الشعوب والدول. والمراد بالأكابر المجرمين ممن يقاومون دعوة الإصلاح، ويعادون المصلحين من الرسل وورثتهم، وكان أكثر أثل مكة أكابر كذلك.وتخصيص الأكابر بذلك لأنهم أقدر على المكر واستتباع الناس لهم [45].

3– البطانة:

لقد ورد مصطلح البطانة في القرآن الكريم في موضع واحد، قال تعالى: "ياآيها الذين آمنو لا تتخذو بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا..."[46]

وفي الحديث عن منافقى أهل الكتاب: عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "مابعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانة..."[47]

ومن هذه العبارات والمعانى جميعا يمكن اعتبار أنه مفهوم البطانة مفهوم خاص لمن يحيط بالشخص، أو الحاكم، ويطلع على أخص أسراره، وقديكون ذلك شخصا أو أشخاصا عدة، وقديكون مشهورا بحسن الخلق أو سوئه، وقد يكون من القوم أنفسهم، أو من قوم آخرين، كما دلت عليه الآية القرآنية التى ذكرت البطانةأما (الملأ) فيشمل البطانة وغيرها في بعض الأحوال، فمفهوم الملأ ينحصر في مفهومين، بحسب البيئة والمرحلة الزمنية، ومايمكن استنتاجه من القصص القرآنى.

جميع هذه الأنواع من الملأ عامة وخاصة، وخاصة الخاصة نجدها في العصر الحاضر، عقيدة وفكرا وسياسة... كما أن الدعوة أمام العقبات و التحديات الفاشلة من قبلهم.

على الدعاة أن يدافعوا عن كيدهم ومكرهم بكل قوة واستقامة، ويرفعوا راية الإسلام في كل بر وبحر، وإلا ستبقى الأمة مشلولة الأيد أمام العالم

المبحث الثالث: الهدف الدعوي من ذكر "الملأ" في القرآن الكريم

ما أخبر الله سبحانه وتعالى به في القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة والأنبياء –عليهم السلام–، والحوادث الواقعة في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

والقرآن الكريم كتاب دعوة دينية وإسلامية قبل كل شيء، والقصص إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبتها[48].

وأهداف ذكر القصص في القرآن الكريم على التفصيل كثيرة[49]، ويمكن تلخيصها في أهم هذه الأهداف والأغراض فيما يلي:

أولا: التفكر والاعتبار، وتلقي الدروس والعظات. ومن البديهيات أن هذا في قول الله تبارك وتعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الباب"(50). عبر ودروس.

فصاحب العقل السليم حين يقرأ ويستمع إلى القرآن الكريم وقصص المذكورة فيه يأخذ العبرة، ويستلهم الدروس، ويتعظ ويتأثر، ويقيس ويقارن نفسه بحال أولئك السابقين "أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي بمثل جزائهم؛ ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار، ويتجنب عن المستكبرين والمعاندين، وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء"[51].

ومن أجل هذا التفكر والاعتبار؛ أمر الله تعالى رسوله –صلى الله عليه وسلم– أن يقص على أهل مكة ما يتنزل عليه من

القصص "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"[52].

وخاطبه كذلك بقوله تعالى: "وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين"[53].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف أنجاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين جاءك فيها قصص حق، ونبأ صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون"[54].

ثانيا: تسلية الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتثبيتا قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم: وذلك وعد الله في قوله سبحانه: "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"[55]، يقول ابن كثير: "يقول الله تعالى: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد، أي قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك المرسلين أسوة"[56].

فقد كان عليه الصلاة والسلام يتعرض لأصناف من الأذى، فيحزن لحال قومه ويأسى؛ فتتنزل عليه الآيات بقصص من سبق من إخوانه الرسل –عليهم الصلاة والسلام– فتكون على قلبه بردا وسلاما، تشيع فيه الطمأنينة، وتسليه وتخفف عنه، وترفع من همته، وتشحذ عزيمته –صلى الله عليه وسلم–، وتزيده في الدعوة ثباتا وتشميرا، وصبرا وتحملا لما يقاسيه من أذى المكذبين والمعاندين.

ثالثا: التأكيد على وحدة رسالة توحيد الله عزوعلا، وعبادته وحده لا شريك له: وفي هذا يقول الله عزوجل: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"[57].

ويقول تعالى: "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"[58]. ويقول سبحانه: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"[59] .

ويقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "الأنبياء إخوة العلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[60].

فدين الأنبياء –عليه السلام– واحد، وهو توحيد الله سبحانه، وعبادته وحده، وإن اختلفت بعد ذلك الشرائع وتنوعت المناهج.

هذه الحقيقة واضحة وظاهرة في قصص الرسل –عليه السلام– في القرآن الكريم؛ ففي قصة نوح –عليه السلام– يقول تبارك وتعالى: "لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره"[61].

وفي قصة هود عليه السلام: "وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[62]، وفي قصة صالح –عليه السلام–: "وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[63]، وفي قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– : "وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله"[64]، وفي قصة شعيب –عليه السلام–: "وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[65].

ومن هنا تجلت القواسم المشتركة في العقيدة من لدن نوح أبي البشر الثاني، فهي هي، والتعبير عنها يكاد يكون هو

التعبير "[66].

يقول الحافظ ابن كثير: "الإسلام هو دين الأنبياء جميعا من أولهم إلى آخرهم؛ وإن تنوعت شرائعهم، وتعددت مناهلهم كما قال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"[67]، قال ابن عباس: "سبيلة وسنة"، فهذا نوح يقول: "وأمرت أن أكون من المسلمين"[68]، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل: "إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" [69]، وقال يوسف: "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين"[70]، وقال موسى: "يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين[71]، وقال السحرة: "ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين"[72]، وقالت بلقيس: "رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"[73]، وقال تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا"[74]، وقال تعالى: "وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون"[75]، وقال خاتم الرسل وسيد البشر –صلى الله عليه وسلم-: "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"[76] أي من هذه الأمة"[77].

رابعا: إثبات صدق الرسول الأمين –صلى الله عليه وسلم– في دعوته: يقول سيد قطب: "كان من أغراض القصة إثبات الوحي والرسالة، فمحمد –صلى الله عليه وسلم- لم يكن كاتبا ولا قارئا، ولا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، كمايزعم المستشرقون، ثم جاءت هذه القصص في القرآن الكريم وبعضهم جاءت في دقة وإسهاب، كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى –عليهم السلام- فورودها في القرآن الكريم اتخذ دليلا على وحي يوحى"[78].

ويقول أيضا: "فهذه القصص غيب من الغيب ما كان يعلمه النبي –صلى الله عليه وسلم- وما كان معلوما لقومه، ولا متداولا في محيطه، إنما هو الوحي من لدن حكيم خبير"[79].

ولذلك يقول الله –تبارك وتعالى- مخاطبا رسوله –صلى الله عليه وسلم- بعد قصة نوح –عليه السلام-: "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين"[80].

وبعد قصة يوسف –عليه السلام-: "ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون"[81].

يقول الشوكاني في تفسيره: "وإذ لم يكن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لديهم عند أن فعلوا ذلك؛ انتفي علمه بذلك مشاهدة، ولم يكن بين قوم لهم علم بأحوال الأمم السالفة، ولا خالطوهم ولا خالطوه، فانتفي علمه بذلك عن طريق الرواية عن الغير فلم يبق لعلمه بذلك طريق إلا مجرد الوحي من الله سبحانه"[82].

ويقول تبارك وتعالى بعد عرض قصة موسى –عليه السلام- مخاطبا رسول الله –صلى الله عليه وسلم-

كذلك: "وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين"[83]، "وما كنت ثاويا في أهل مدين"[84]، "وما كنت بجانب الطور إذ نادينا"[85].

فهذا رسولنا –صلى الله عليه وسلم- لم يكن في زمن سيدنا موسى وسيدنا شعيب –عليهما السلام- يحكي قضيتهما عن

مشاهدة مباشرة، ولكنه الوحي الإلهي يتنزل عليه –صلى الله عليه وسلم– بقصص أولئك السابقين من الرسل عليهم السلام.

ويخاطب أيضا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد ذكر امرأة عمران وزكريا ومريم –عليهم السلام–: "ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم وما كنت لديهم إذ يختصمون"[86].

كما يخاطبه عزوجل على وجه الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بإيراد القصص الذي ما كان له أن يعلمها بدون الوحي: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق"[87].

"ذلك من أنباء القرى نقصه عليك"[88].

إن قصص القرآن الكريم بمثابة دليل وشاهد على صحة نبوته –عليه السلام– وصدق رسالته إذ أنه –صلى الله عليه وسلم– كان أميا وما طالع كتابا ولا تلمذ أستاذا فإذا ذكر هذه القصص على وجه من غير تحريف ولا خطأ؛ دل ذلك أنه إنما عرفها بالوحي من الله، وذلك يدل على صحة نبوته"[89].

خامسا: بث الطمأنينة والسكينة في قلوب الدعاة ونفوس المؤمنين: وذلك حين يعلمون من خلال القصص القرآني أنهم ليسوا وحدهم في هذا الطريق، طريق الإيمان وطريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما هناك من سبقهم في موكب الدعوة إلى الإيمان، موكب الرسل –عليهم السلام– وأتباعهم الممتد عبر التاريخ، صبروا فكانت العاقبة لهم بإذن الله سبحانه وتعالى وبتقديره.

ومن ثم ستأنس المؤمنين ويرتاح بال الدعاة، ويفتح لهم باب الأمل العريض، والثقة بالحق الذي يحملونه، والنصر الذي يرجونه.

"لقد كان هذا القصص يتنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مكة، والقلة المؤمنة معه محصورة بين شعابها، والدعوة الإسلامية مجمدة فيها، والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية؛ فكان هذا القصص يكشف لهم عن نهاية الطريق ويريهم معالمه في مراحله جميعا، ويأخذ بأيديهم، ويثقل خطاهم في هذا الطريق، وقد بات لاحبا[90] موصولا بموكب الدعوة الكريم على مدار التاريخ البشري، وبات بهذا الركب الكريم مأنوسا مألوفا، لا موحشا ولا مخونا، أنهم زمرة من موكب موصول في طريق معروف، وليسوا مجموعة شاردة في تيه مقطوع"[91].

سادسا: التأكيد على السنن الربانية في الأمم والمجتمعات، وتحققها في واقع البشرية: نعم تجد في كتاب الله عزوجل بكل وضوح في القصص القرآنية حيث يتحقق في النهاية الوعد للمؤمنين: "والعاقبة للمتقين"[92]، والوعيد للمكذبين مع اختلاف المظاهر والأشكال لهذا الوعيد:

"فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا"[93].

وقد كرر القرآن الكريم ذلك في كل قصة من قصص الرسل –عليهم السلام–، يقول الله تعالى في قصة نوح –عليه

السلام:"ولقد أرسلنا نوحا إلىٰ قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين"[94].

ويقول الله سبحانه في قصة هود –عليه السلام–:"ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ"[95].

ويقول الله عزوجل في صالح –عليه السلام–:"فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين"[96].

ويقول تعالى في قصة شعيب –عليه السلام–:"ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين"[97].

وهناك شواهد واقعية كثيرة جدا من التاريخ على تحقيق السنن الإلهية في الحياة الإنسانية.

سابعا: التأسي والاقتداء: القصص القرآني يتنزل ليتأسى الرسول –صلى الله عليه وسلم– فأتبعه المؤمنون على توالي الأجيال والقرون بمن سبق في موكب الدعوة والإيمان من الرسل –عليهم السلام– وأتباعهم.

ويقول الله عزوجل مخاطبا رسوله –صلى الله عليه وسلم– بعد ذكر عدد من الرسل –عليهم السلام–: "أولٰئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"[98].

"أي: اقتد واتبع وإن كان هذا أمرا للرسول –صلى الله عليه وسلم– فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به"[99].

ويخاطب الله كذلك رسوله –صلى الله عليه وسلم– بقوله:

"ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين"[100].

يقول ابن كثير: "أي من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة بهم وقدوة"[101].

وفي الدعوة إلى الاقتداء والتأسي يقول تبارك وتعالى أيضا:فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم"[102].ويقول سبحانه وتعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه" [103].

ويقول عزوجل: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر" [104].

وكما تأسى الرسول –صلى الله عليه وسلم– واقتدى بإخوانه المرسلين –عليهم السلام–؛ فإن المؤمنين على مر العصور يجدون في رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأسوة والقدوة.

قال تبارك وتعالى:"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" [105].

وهكذا هذا القصص القرآني متنوع الدروس والعظات، متجدد العبر على مر العصور والأجيال، يجد فيه كل جيل ما يتعظ به ويعتبر، لو قرأه بتفكر وتدبر.

الخاتمة وفيها أهم النتائج: بناءا على ما اطلعنا من المقال، نرى الأمة في أمس الحاجة إلى النقاط التالية:

1- معرفة مفهوم الملأ ومقاصد الدعوية في ضوء القرآن الكريم، وأن الإسلام الحنيف دين الوسطية والاعتدال، وهوبعيد كل البعد عن الشرك والكفر والاستكبار والغلو والارهاب والتطرف، ويحذر البشرية من التشديد على النفس لما يفضى إلى الضلال والتفرق وعن كل مايؤدى الانحراف والفشل والخروج عن طريق الدعوة إلى الله ومنهج الأنبياء في مسير الحياة.

2- أرى أن مشكلة الملأ من جوانب مختلفة، داخلية كانت اوخارجية، من أهم الأمور التى تحتاج إلى المعالجة، فأما المشكلة الداخلية للملأ أشد خطرا من المشكلة الخارجية.

3- إن استبداد الملأ وظلمهم وآثارهم على الفرد والمجتمع عامة، وعلى الدعوة إلى الله تعالى بصورة خاصة، كثيرة، إلى أن وصلت النتيجة إلى القتل والدمار وسفك الدماء كما كانت في زمن الرسل عليهم السلام.

أسأل المولى القدير أن يحفظ العباد والبلاد من الوباء والبلاء، وينفع بنا الإسلام والمسلمين.

وصلى الله على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

References

(1) Tahzeeb al Lughat al Zahri, Taba Darul kitab al arabi, 1967, Lisan al arab labin Manzoor, 4252/6, Taba darul muarif, 1404 AH.

(2) Tahzeeb al Lughat al Zahri, 404/15, Lisan al arab: 4252/6.

(3) Sahi Bukhari, Kitab Fazail Sahaba, 1399/3, Dar ibn katheer, Muslim fi kitab al jihad, 153/2.

(4) Sahi Bukhari, Kitab al Tamni, 2644/6, Muslim fi kitab al jihad, 171-172/12.

(5) Sarh Novi Ali, Sahi Bukhari, 12.

(6) Al Tirmizi fi kitab al tafseer, 368-369/5, taba Saniya, 1413 AH.

(7) Al Nihayat fi gharib al hadith labin aseer: 351/4, Beirut, 1399 AH, p. 223/17.

(8) Al Nihayat fi gharib al hadith: 47/3.

(9) Al Seerat Nabaviat labin Hisham: 253/2, Taba awwal, 1408 AH.

(10) Rivah Ahmed: Al Fatah Rabani, p. 137/18, Tafseer al Tibri: p. 200/7, 1373 AH.

(11) Rivah Ahmed: Al Fatah Rabani, p. 137/18, Tafseer al Tibri: p. 200/7, 1373 AH.

(12) Rivah al Bukhari fi kitab fazail al Sahaba, p. 1430-1431/3, wa muslim fi kitab al masajid: 6-7/5.

(13) Lisan al Arab: p. 4252-4253/6, al tafseer al fakhar al razi: p. 181/6. 1403 AH.

(14) Lisan al Arab: p. 1252/6, Taj ul uroos: p. 436/1.

(15) Badam al Jeem: Hiyat al rijal wa manzarah, tarteeeb al qamoos al muheet: p. 546/1, taj al uroos, p. 437-438/1.

(16) Taj al uroos: 437-438/1.

(17) Lisan al Arab: p. 1252/6.

(18) Al Sahah lil Johiri: p. 73/1, Beirut, 1399 AH, tarteeb: Al Qamoos al Muheet, p. 274/4, Taj ul uroos, p. 436/1.

(19) Rivah al Bukhari fi kitab al Ambiya, p. 1249/3, wa muslim fi kitab al fazail, p. 127/15.

(20) Rivah al Bukhari fi kitab al Ambiya, p. 1246/3, wa muslim fi kitab al fazail, p. 147/15.

(21) Rivah al Bukhari fi kitab al toheed, p. 2694/6, wa muslim fi kitab al zikar, p. 3/17.

(22) Fatah al Bari sarh sahi bukhari, labin hijar al asqilani: p. 476/13, Beirut, 1410 AH.

(23) Tahzeeb al Lughat: p. 404/15, wa fi lisan al arab: p. 4253/6.

(24) Rivah Muslim fi kitab al masajid, p. 188/5.

(25) Sarh Novi Ali Sahi Bukhari, p. 188/5, Al Niyahat: p. 351/4.

(26) Tarteeb: Al Qamoos al Muheet, p. 274/4, Taj al uroos: p. 435/1.

(27) Lisan al Arab: p. 4253/6, Taj al uroos: p. 435/1.

(28) Rivah Ahmed: Al Fatah Rabani, p. 56/21, Tafseer ibn katheer: p. 412-413/1, 1402 AH.

(29) Bilagh al Amani israr al fatah al rabani: 56/21.

(30) Tarteeb: Al Qamoos al Muheet, 274/4, Lisan al Arab: 4253/6, Taj al uroos: p. 436/1.

(31) Nafs al Masadir al Sabiqat, wa nafsa al Safhat.

(32) Surat al Baqarah: 165-167.

(33) Tahqeeq: al Rihali al Farooq Abdullah bin Ibrahim al Ansari, Taba: Awwal, V.2, Doha, 1977, p. 54.

(34) Muhammad Tahir bin Ashor, al Tahreer wa al Tanveer, Aldar al Tonsiyat lil nashar, 1985, V.2, p. 9.

(35) Abdul Haleem Hanafi, Asloob al Sakhriat fi al Quran al kareem, 1989, p. 234-235.

(36) Surat al Ahzab: 67.

(37) Muhammad bin Umar al Razi, 605AH, Tafseer Mafateeh al Ghaib, V. 2, Taqeem: Khalil Muhiuddin, V. 13, Darul Fikar, Beirut, 1995, p. 234.

(38) Muhammad Rashid Raza, Tafseer al Manar, Taba: Saniya, V.2, Darul Fikar, p. 65-66.

(39) Ibn Ashor, al Tahreer wa al Tanveer, V.2, Musdar Sabiq, p. 97.

(40) Surat Ibrahim: 21.

(41) Al Razi, Tafseer Mafateeh al Ghaib, V. 2, p. 233-234.

(42) Surat al Inam: 123.

(43) Surat Ahzab: 67.

(44) Ibn Atiyat Abdul Haq bin Atiyat al Indasi, al Muharir al Wajeez fi Tafseer al Kitab al Aziz, V. 5, p. 338.

(45) Ahmed Mustafa al Muraghi un tafseer al muraghi, Dar Ahya al taras al arabi, 1990, V. 8, p. 20..

(46) Surat al Imran: 118.

(47) al Bukhari, Sahi Bukhari, Kitab al Ahkam, Sarh wa taleeq, Dr. Mustafa Deeb al Bagha, Taba:1, 1422 AH, p. 77/9.

(48) Al tasveer al Fani fi al Quran al kraeem syed qutub, p. 143.

(49) Bahoos fi al Quran al kareem, p. 78, 121.

(50) Surat Yusuf: 111.

(51) Majmooa Fatawa Shaikh al Islam ibn Timiya: 20/13.

(52) Surat al Airaf: 176.

(53) Surat Hood: 120.

(54) Tafseer Ibn katheer: 465-466/2.

(55) Surat Hood: 120.

(56) Tafseer Ibn katheer: 465/2.

(57) Surat al Ambiya: 25.

(58) Surat al Nahal: 36.

(59) Surat Shura: 13.

(60) Rivah al Bukhari fi kitab al Ambiya, p. 1270/13, Rivah Muslim fi kitab al Fazail, p. 119/15, Fatah al Bari, 605/6.

(61) Surat al Airaf: 59.

(62) Surat al Airaf: 45.

(63) Surat al Airaf: 73.

(64) Surat al Ankaboot: 16.

(65) Surat al Airaf: 85.

(66) Fi Zalal al Quran Syed Qutub: 1880/4, Darul Ilim al Jazirat, Egypt, 1406AH.

(67) Surat al Maidah: 48.

(68) Surat Yunus: 72.

(69) Surat al Baqarah: 131-132.

(70) Surat Yusuf: 101.

(71) Surat Yunus: 84.

(72) Surat al Airaf: 126.

(73) Surat Namal: 44.

(74) Surat al Maidah: 44.

(75) Surat al Maidah: 111.

(76) Surat Inam: 162-163.

(77) Tafseer ibn Katheer: 425/2.

(78) Al tasveer al Fani fi al Quran al kraeem syed qutub, p. 145.

(79) Fi Zalal al Quran Syed Qutub: 1880/4.

(80) Surat Hood: 49.

(81) Surat Yusuf: 112.

(82) Al Shukani, Tafseer Fatah al Qadeer: 85/3.

(83) Surat al Qasas: 44.

(84) Surat al Qasas: 45.

(85) Surat al Qasas: 46.

(86) Surat Al Imran: 44.

(87) Surat Taha: 99.

(88) Surat Hood: 100.

(89) Al Tafseer Al Kabeer: 146/14.

(90) Wadiha, Lisan al Arab: 4003/5.

(91) Fi Zalal al Quran Syed Qutub: 1948/4.

(92) Surat Airaf: 128.

(93) Surat al Ankaboot: 40.

(94) Surat al Ankaboot: 14-15.

(95) Surat Hood: 58.

(96) Surat Hood: 66-67.

(97) Surat Hood: 94.

(98) Surat Inam: 90.

(99) Tafseer ibn Katheer: 955/2.

(100) Surat Inam: 34.

(101) Tafseer ibn Katheer: 130/2.

(102) Surat Ahqaf: 35.

(103) Surat Mumtahinat: 4.

(104) Surat Mumtahinat: 6.

(105) Surat al Ahzab: 21.